الحياة وعنصره بضد ذلك والمخلوق من الأشرف أشرف لأن شرف الأصل يوجب شرف الفرع فانا كذلك والاشرف لا يليق به الانقياد لمن هو دونه وقد أخطأ اللعين فان كون النار أشرف من التراب ممنوع فان كل عنصر من العناصر الاربع يختص بفوائد ليست لغيره وكل منها ضروري في هذه النشأة ولكل فضيلة في مقامه وحاله فترجيح بعضها على بعض تطويل بلا طائل على من نظر إلى أن الأرض أكثر منافع للخلق لأنها مستقرهم وفيها معايشهم وأنها متصفة بالرزانة التي هي من مقتضيات الحلم والوقار إلى أن النار دونها في المنافع وأنها متصفة بالخفة التي هي من مقتضيات الطيش والاستكبار والرفع علم ما في كلام اللعين وأيضا شرف الأصل لايوجب شرف الفرع إنما الورد من الشوك ولا ينبت النرجس إلا من بصل ويكفي في ذلك أنه قد يخرج الكافر من المؤمن وأيضا قد خص الشرف بما هو من جهة المادة والعنصر مع أن الشيء كما يشرف بمادته وعنصره يشرف بفاعله وغايته وصورته وهذا الشرف في آدم عليه السلام دونه فان ا تعالى خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وجعله خليفة في الأرض كما قص سبحانه لما اودعه فيه وأيضا أي قبح في خدمة الفاضل للمفضول تواضعا وإسقاطا لحظ النفس على أن الخدمة في الحقيقة إنما كانت  تعالى وإلى هذا أشار ظافر الاسكندري بقوله : أنت المراد بنظم كل قصيدة بنيت على الافهام في تبجيله كسجود أملاك السماء لآدم وسجودهم  في تأويله ثم الظاهر ان هذا الجواب من اللعين كان مع تسليم أنه مأمور بالسجود وحينئذ فخطؤه أظهر من نار على علم إذ يعود ذلك إلى الاعتراض على المالك الحكيم وقال بعضهم : إنه لم يسلم أنه كان مأمورا بل أخرج نفسه من العموم بالقياس واستدل أهل هذا القول بهذأ التوبيخ على أنه لايجوز تخصيص النص بالقياس .

وأجيب بأن هذا ليس من التخصيص بل هو ابطال للنص ورفع له بالكلية وفيه تأمل .

وأخرج أبو نعيم في الحلية والديلمي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي ا تعالى عنهم أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال أول من قاس أمر الدين برأيه ابليس قال ا تعالى له : اسجد لآدم فقال : أنا خير منهالخ قال جعفر : فمن قاس أمر الدين برأيه قرنه ا تعالى بيوم القيامة بابليس لأنه اتبعه بالقياس واستدل بهذا ونحوه من منع القياس مطلقا .

وأجيب عن ذلك بأن المذموم هو القياس والرأي في مقابلة النص أو الذي يعدم فيه شرط من الشروط المعتبرة وتحقيق ذلك في محله وفي الآية دليل على الكون والفساد لدلالتها على خلق آدم عليه السلام وابليس عليه اللعنة وإيجادهما وعلى استحالة الطين والنار عما كانا عليه من الطينية والنار لما تركب منهما ما تركب وعلى أن ابليس ونحوه أجسام حادثة لا أرواح

قديمة قيل : لعل اضافة خلق آدم عليه السلام إلى الطين وخلقه إلى النار باعتبار الجزء الغالب وإلا فقد تقرر أن الأجسام من العناصر الأربعة وبعض الناس من وراء المنع .

قال استئناف كما سلف والفاء في قوله تعالى : فاهبط منها لترتيب الأمر على ما ظهر منه من